معجم غريب القرآن

مستخرجاً من صحيح البخاري

وفيه ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة

« بمصر صحيفة فى التفسير ، رواها على بن أبى طلحة . لو رحل رجل فيها إلى مصر ، قاصداً ، ما كان كثيراً » .

أحمد بن حنبل

* * *

وقد ألحقنا به مسائل نافع بن الأزرق لابن عباس

وضعه

محمد فؤاد عبد الباقى

دار إحياء الكتب العربية

عيسى البابى الحلبى وشركاه



أيها الرئيس الأكبر !!

تَاللهِ تَفْتَؤُا تَذْكُرُنِي بِمَا تُسْدِي إِلَيَّ مِنْ عَوَارِفَ تَتْرَى، تَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ.

أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ هٰذِي نِعَمَكَ ، وَأَبُوءَ لَكَ بِهَا .

فَأَسْأَلُ اللهَ الَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ ، الْحَيَّ الْقَيُّومَ، أَنْ يَشْرَحَ لَكَ صَدْرَكَ ، وَيَضَعَ عَنْكَ وِزْرَكَ ، وَيَرْفَعَ لَكَ ذِكْرَكَ ... ـ آمين

٣٠ مايو سنة ١٩٥٠ م

محمد فؤاد عبد الباقي

المخلص الوفى الأمين

عزيزى الأستاذ فؤاد عبد الباقى .

أطلعتَنى على ما أتممتَ طبعه من كتابك : « معجم غريب القرآن » . وقد ذكرت لأول اطلاعى عليه ، ذلك اليومَ القريب البعيد ، حين تكرمتَ بإهدائى نسخةً من كتابك : « تفصيل آيات القرآن الحكيم » ، أثناء كتابتى : « حياة محمد » ﷺ . ولن أنسى ما كان لإهدائك إياى هذا الكتاب ، الذى نقلتَه عن « چول لابوم » ، من عون مسعف فى مراجعة ما يتصل بالقرآن الكريم من حياة الرسول العربىّ الأمين ﷺ . مسعف كذلك فى جمع النصوص القرآنية الخاصة بموضوع واحد ، المتفرقة فى مختلف السور ، جمعاً جمّ الفائدة لمن يريد دراسة موضوع تعرَّضَ له القرآنُ . سواء أكان هذا الموضوع فى التاريخ أم فى العبادات أم فى الفقه أم فى غيرها من الأمور التى لا حصر لها ، والتى أحاط كتاب الله بها .

وذكرتُ مع هذا إهداءك إياى : « المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم » . ثم ذكرت كذلك كتابك « اللؤلؤ والمرجان . فيما اتفق عليه الشيخان » من أحاديث رسول الله ﷺ .
وفكرت فى انقطاعك لهذا النوع من التأليف ، تقوم فى سبيله الليل وتصوم النهار .
والحق أن الدراسات الإسلامية بحاجة اليوم إلى هذه الفهارس الممتعة التى تقرّب علوم القرآن، والعلوم الإسلامية كلها ، إلى متناول من يريدون التأليف فيها .

لقد سَبَقَنا المستشرقون إلى هذه الفهرسة ، فجئت أنت تسابقهم بعد إذ رأيتَ أبناء العربية يبذلون الجهد ، ويعرضون للدراسات الإسلامية بمالم يكونوا يعرضون به من قبل. وأنت، لاريب، تشكر من المشتغلين بهذه الدراسات ، وتشكر من الذين يريدون الوقوف على ما ينطوى عليه الكتاب الكريم ، وتنطوى عليه الأحاديث النبوية الشريفة ، من حكم بالغة ، وأحكام دقيقة ، وتفكير عميق ، وسموّ فى العاطفة والأسلوب ، لا يُرْتَقَى إليه .

وكما ذكرتُ كتابيك هذين لأول ما اطَّلعتُ على معجمك عن غريب القرآن ، ذكرتُ يومَ أن تقدمتُ أنا، من بضع سنوات خلَتْ، إلى مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، واقترحتُ عليه وضع معجم للقرآن . وكيف نوقش هذا الاقتراح مناقشة مستفيضة انتهت إلى إقراره . وذكرتُ فقيدَ مصر والإسلام الأستاذ الأكبر « الشيخ مصطفى عبد الرازق » ، واشتراكه فى اللجنة التى تألفت لوضع هذا المعجم ، واختيارَهُ إياكِ لمعاونته فى هذا العمل الجليل ، وبَذْلَكِ الجهدَ فى هذه المعاونة على نحو كان يرضيه ، رحمة الله عليه ، غاية الرضى .

ولعل جهدكِ فى هذه المعاونة هو الذى أدّى بكِ إلى وضع هذا المعجم لغريب القرآن . وإن كان اشتغالكِ قبل ذلك بالفهرسة لآيات الكتاب الحكيم على طريقة « چول لابوم » قد كان ، فيما أظن ، مما مهّد لكِ السبيل إلى هذا العمل خير تمهيد ، كما مهده لكِ ، كذلكِ، اشتغالكِ بجمع الحديث . ولعلكِ قد سبقتَ بعملكِ هـذا ، معجمَ القرآن الذى تضعه لجنة مجمع فؤاد الأول . على أننى أشعر أن العمل الصالح الذى قمتِ أنت به ، على فائدته لمن يريد الوقوف على معانى الغريب من القرآن فى سرعة توفّر عليه الكثير من الوقت ، لم يقصد به إلى الاستغناء عن المعجم الذى تضعه لجنة المجمع . فالفكرة التى قصدتُ أنا إليها ، يوم اقترحتُ وضع هـذا المعجم ، هى أن يقف ، من يدرس القرآن ، على معانى ألفاظه عند العرب حين أوحاه الله إلى رسوله ﷺ . فكثيراً ما تتغير قيم الألفاظ وإن لم تتغير معانيها تغيرا أساسيا . ونحن أحوج ما نكون إلى معرفة القيم التى كانت لكل لفظ من ألفاظ القرآن حين نزوله .

صحيح أن المفسرين شرحوا لنا مرامىَ هذه الألفاظ ومعانيها ، لكنّ هؤلاء المفسرين جاءوا بعد قرون من نزول الكتاب الكريم ، وبعد أن كانت قيم الألفاظ قد ازدادت قوتها أو نقصت . فلابد للباحث فى كتاب الله ، ليكون بحثه علميا دقيقا ، من أن يقف على القيم الدقيقة لهذه الألفاظ حين نزولها حتى يبلغ الغاية ، من الدقة المرجوّة .

وصحيح أيضاً أن لابن عباس تفسيراً منسوبا إليه ، على أنه وضع فى الصدر الأول وعقب وفاة

الرسول عليه السلام . وقد اعتمدتَ أنت على هذا التفسير ، ولك عن ذلك كل العذر . لكنى أود لو أن المعجم الذى تضعه لجنة المجمع يتجاوز هذا المدى إلى مقارنة كل لفظ ورد فى القرآن بمثله مما ورد فى الشعر الذى سبق القرآنَ والذى عاصره ، لتحديد القيمة لهذا اللفظ فى ذلك العصر ، تحديداً ييسر لنا الدراسة العلمية الدقيقة التى نقصد إليها .

هذه الدراسة جليلة الخطر اليوم ، وكانت جليلة الخطر فى العصور التى خلت من قبل . فعلومُ القرآن، والعلوم الإسلامية بوجه عام، تستند فى جملتها إلى ما جاء فى كتاب الله . والفلسفةُ الإسلامية تستمد جلّ وجودها من هذا الكتاب الكريم . فلابد ـ وهذه هى الحال ـ من الدقة، غاية الدقة ، فى إدراك المدلول الصحيح الذى تنطوى عليه ألفاظ القرآن يوم نزولها ، حتى تكون النتائج العلمية أو الفلسفية التى تترتب عليها ، دقيقة كذلك .

هذا ما أرجو أن يبلغه المعجم الذى تضعه اللجنة ويصدره المجمع .

أما كتابك هذا : « *معجم غريب القرآن* » فقدقصدتَ ، كما سبق القول ، إلى إرضاء حاجة قارىء كتاب الله قراءة يريد منها الإدراك . فلا يقف فى سبيله لفظ غريب يغيب عنه معناه . وهذا غرض جليل كذلك . فملايين المسلمين ، بل عشرات الملايين منهم ، هم الذين يتلون الكتاب ويريدون منه هذا الإدراك التامّ . وتيسيرُ السبيل لهم إلى هذا الغرض جديرٌ بالتقدير ، وبالمثوبة من الله الذى أوحى كتابه إلى رسوله ﷺ ، هدًى للناس وبيناتٍ من الهدى والفرقان .

أثابك الله ، يا أخى ، على ما بذلتَ من جهدٍ صالح ، وجَمَّل لك من نيتك ما يضاعف به مثوبتك . فأنت بذلك جدير . نفع الله بك ، ووفّقك للخير ، إنه سميع مجيب .

٢٩ مايو سنة ١٩٥٠

محمد حسين هيكل

بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إنى أحمدك على ما أزلتَ إلىّ من نعمتك . وعلى ما أزلتَ عنى من نقمتك . على أنى
لم أكن أهلا للأولى . وكنتُ بالثانية أولى . لولا فضلٌ منك سابقٌ حَمْدُ الحامد وراءه
يقطِف . وإن أعنق فكأنه مصفود يرسف . وكرمٌ باسقٌ شكر الشاكر ينوء تحته بجناح
مهيض . وإن حلّق فكأنه لاصق بالحضيض[1] .

وأحمده على ما أدرج من آلائه . فى تضاعيف ابتلائه . وما رزقنى من درك الغبطة . بما
أذاقنى من مسّ السخطة . وما تهدّل علىّ من ثمر ألطافه . حتى استمكنت أصابعى من اقتطافه .
وأستعينه فى الاستقامة على سواء سبيله . وأستعيذ به من الاستنامة إلى الشيطان وتسويله[2] .

وأوْلى ما قُفِّى به حمدُ الله تعالى ، الصلاةُ على النبىّ العربىّ المستلّ من سُلالة عدنان .
المفضل باللسان. الذى استخزنه الله الفصاحةَ والبيان . وعلى عترته وصحابته مَدارِهِ العرب وفحولها.
وغُرر بنى مَعَدٍّ وحجولها[3] .

أنزل الله عليه كتابا ساطعا تبيانُه . قاطعا برهانُه . وَحْياً ناطقا ببينات وحُجج . قرآنا
عربيا غير ذى عوج . مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية . مصداقا لما بين يديه من الكتب السماوية.
معجزاً باقياً دون كل مُعجز على وجه الزمان . دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل
مكان . أفحم به من طولب بمعارضته من العرب العرباء . وأبكم من تُحُدِّى به من مصاقع الخطباء.
فلم يتصدّ للإتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم . ولم ينهض لمقدار أقصر سورة منه

---

(١) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشرى لأطواق الذهب .

(٢) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشرى لمقاماته .

(٣) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشرى لأساس البلاغة .

ناهض من بلغائهم . على أنهم كانوا أكثر من حصى البطحاء . وأوفر عددا من رمال الدهناء . ولم ينبض منهم عِرْق العصبية مع اشتهارهم بالإفراط فى المُضادّة والمضارّة . وإلقائهم الشراشرَ على المُعازّة والمُعَارّة . ولقائهم ، دون المناضلة عن أحسابهم ، الخُطط . وركوبهم ، فى كل ما يرومونه ، الشطط . إن أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر . وإن رماهم بمأثرة رموه بمآثر . وقد جرّد لهم الحجة أولا ، والسيف آخرا ، فلم يعارضوا إلا السيف وَحْدَه . على أن السيف القاضب مخراق لاعب ، إن لم تُمضِ الحجةُ حدَّه . فما أعرضوا عن معارضة الحجة إلا لعلمهم أن البحر قد زخر فطمّ على الكواكب . وأن الشمس قد أشرقت فطمست نورَ الكواكب[1] .

(أما بعد) فقد قال الإمام جلال الدين السيوطى فى كتابه « **الإتقان فى علوم القرآن** » ما يأتى :

(النوع السادس والثلاثون) فى معرفة غريبه . أفرده بالتأليف خلائق لا يُحصوْن . ثم قال:

« وأولى ما يرجع إليه فى ذلك ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهم ما يستوعب تفسير غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة » .

« وما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبى طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق ، وعليها اعتمد (**البخارىّ**) فى صحيحه » .

وقال فى موضع آخر : « وقد ورد عن ابن عباس فى التفسير ما لا يحصى كثرة ، وفيه روايات وطرق مختلفة . فمن جيدها طريق على بن أبى طلحة الهاشمى . قال أحمد بن حنبل : « **بمصر صحيفة فى التفسير ، رواها على بن أبى طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر ، قاصدا ، ما كان كثيراً** » أسنده أبو جعفر النحاس فى ناسخه .

قال ابن حجر : وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس .

---

(١) مقتبس من خطبة الإمام الزمخشرى للكشاف .

وهى عنـد البخارىّ، عن أبى صالح . وقد اعتمد عليها فى صحيحه كثيراً ، فيما يعلقه عن ابن عباس . وأخرج منها ابن جرير وابن أبى حاتم وابن المنذر كثيراً ، بوسائط بينهم وبين أبى صالح . وقال قوم : لم يسمع ابن أبى طلحة من ابن عباس التفسير ، وإنمـا أخذه عن مجاهد وسعيد بن جبير . قال ابن حجر : بعد أن عرفت الواسطة ، وهو ثقة ، فلا ضير فى ذلك .

وقال الخليلى فى الإرشاد : تفسير معاوية بن أبى صالح ، قاضى الأندلس، عن علىّ بن أبى طلحة عن ابن عباس ، رواه الـكبار عن أبى صالح كاتب الليث ، عن معاوية . وأجمع الحفاظ على أن ابن أبى طلحة لم يسمعه من ابن عباس (وقد تقدم ، قريباً ، قول الحافظ ابن حجر فى ذلك) » .

ولأن هذه صحيفةَ علىّ بن أبى طلحة، هى محور مايدور حوله هذا المعجم ، ولغموض تاريخها مع عظم أهميتها ، وكيف انتقلت إلى مصر ، وكيف أخذ عنها الإمام البخارىّ ، كل ذلك لايضطلع بالقيام به إلا رجل تركزت فيه صفتان ، هما الإخلاص فى العمل والقدرة على البحث التاريخى المؤيد بالدلائل العلمية . وهاتان صفتان قد توفرتا فى صديقى وصفيي **الدكتور محمد كامل حسين** أسـتاذ الأدب المصرى بجامعة فؤاد الأول . فقد تولى أمر ذلك الوضوع ببحثه القيّم الذى يطلع عليه القارئ بعد هذه الـكلمة . فأثابه الله عن العلم ، خير ما يثيب به المخلصين .

أما مكانة الإمام عبد الله بن عباس فى التفسير ، فألق سمعك إلى مايقوله الحافظ عماد الدين ، أبو الفداء ، إسماعيل بن كثير القرشىّ الدمشقىّ . قال :

فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟ (فالجواب) إن أصح الطرق فى ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن . فما أجمل فى مكان فإنه قد بسط فى موضع آخر . فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة ، فإنها شارحة للقرآن ، وموضحة له . بل قد قال الإمام أبو عبـد الله محمد بن إدريس الشافعىّ رحمه الله تعالى : كل ماحكم به رسول الله ﷺ فهو مما فهمه من القرآن . قال الله تعالى (إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ

خَصِيمًا) ٤/١٠٥ . وقال تعالى: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ) ١٦/٤٤ . وقال تعالى: (وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) ١٦/٦٤ . ولهذا قال رسول الله ﷺ : « ألَا وإنى أوتيتُ القرآنَ ومثلَه معه » يعنى السنة .

والغرض أنك تطلب تفسير القرآن منه ، فإن لم تجده فمن السنة . كما قال رسول الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن « فَبِمَ تحكم » ؟ قال : بكتاب الله . قال « فإن لم تجد » ؟ قال : بسنة رسول الله . قال « فإن لم تجد » ؟ قال : أجتهد رأيِى . فضرب رسول الله ﷺ فى صدره، وقال «الحمد لله الذى وفَّق رسولَ رسولِ الله لما يرضى رسولَ الله » .

وحينئذ، إذا لم نجد التفسيرَ فى القرآن ولا فى السنة، رجعنا فى ذلك إلى أقوال الصحابة. فإنهم أدرى بذلك ، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التى اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التامّ والعلم الصحيح والعمل الصالح . لاسيما علمائهم وكبرائهم ، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين ، والأئمة المهتدين المهديين ، وعبد الله بن مسعود ، رضى الله عنهم . قال الإمام أبو جعفر بن جرير : حدثنا أبو كريب ، جابر بن نوح ، حدثنا الأعمش ، عن أبى الضحى عن مسروق ، قال: قال عبد الله، يعنى ابن مسعود : والذى لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيمن نزلت ، وأين نزلت ، ولو أعلمُ أحدا أعلمَ بكتاب الله منى ، تناله المطايا ، لأتيته .

وقال الأعمش أيضا عن أبى وائل عن ابن مسعود قال : كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن .

وقال عبد الرحمن السلمىّ : حدثنا الذين يُقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبى ﷺ ، وكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلّمنا القرآن والعمل جميعاً .

ومنهم الحبر البحر (عبد الله ابن عباس) ابن عم رسول الله ﷺ ، وترجمان القرآن ، ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال «اللهم فقهه فى الدين ، وعلمه التأويل». وقال ابن جرير : حدثنا محمد بن بشار وحدثنا وكيع ، ثنا سفيان عن الأعمش عن مسلم ـ كذا قال ـ قال عبد الله ، يعنى ابن مسعود : نعْم ترجمان القرآن ابن عباس. ثم رواه عن يحيى بن داود ، عن إسحاق الأزرق، عن سفيان، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح، عن أبى الضحى، عن مسروق ، عن ابن مسعود أنه قال : نعم الترجمان للقرآن ابن عباس . ثم رواه عن بندار ، عن جعفر بن عون ، عن الأعمش به كذلك .

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة . وقد مات ابن مسعود، رضى الله عنه، فى سنة اثنتين وثلاثين ، على الصحيح . وعُمِّر بعده عبد الله بن عباس ستا وثلاثين سنة . فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود !!

وقال الأعمش ، عن أبى وائل : استخلف علىٌّ عبدَ الله بن عباس ، على الموسم ، فخطب الناس ، فقرأ فى خطبته سورة البقرة (وفى رواية سورة النور) ففسرها تفسيراً ، لو سمعته الروم والترك والديلم لأسلموا . اهـ .

هذه هى مكانة حبر الأمة من التفسير . وهذه هي صحيفة على بن أبى طلحة التى رواها عن ابن عباس، وسموّ منزلتها عند الإمام البخارىّ. وهذا هو صحيح البخارىّ، أصح الكتب المصنفة. هـذا الصحيح الذى قال فيه خاتمة مشايخ الإسلام المحققين ، صاحب السماحة مصطفى صبرى أفندى، شيخ الإسلام للدولة العثمانية سابقا ، فى كتابه (القول الفصل ، بين الذين يؤمنون بالغيب والذين لا يؤمنون) ما يأتى :

« فى صحيح البخارى مثلا ألفان وستمائة واثنان من الأحاديث المسندة ، سوى المكرر. »
« انتقاها من مائة ألف حديث صحيح يحفظها . وقريب من ألفى راوٍ اختارهم من نيف وثلاثين »
« ألفا من الرواة الثقات الذين يعرفهم . »

« وكتاب البخارىّ، البالغ أربع مجلدات كبيرة ، يبقى بعد حذف أسانيده على حجم مجلد »
« واحد متوسط الحجم . »
« فهل سمعتم وسمعت الدنيا، أن كتاب تاريخ ، فى هذا الحجم ، يروى مافيه سماعا من ألفى »
« رجل ثقة ، يعرفهم المؤلف وغيره من أهل هذا العلم بأسمائهم وأوصافهم ، على أن يكون كل »
« جملة معينة من الكتاب، مؤلفة من سطر أو أكثر أو أقل تقريبا ، سمعها فلان وهو من فلان »
« إلى أن اتصل بالنبى ﷺ ، فيقام لكل سطر من الكتاب ، تقريبا، شهودٌ من الرواة يتحملون »
« مسئولية روايته ؟ » .

فما أحرانى أن أعكف على الصحيح ، وأتقصى كلماته كلمة كلمة ، فأتصيد منها الحرف الغريب من القرآن فأرصده فى جزازة . حتى إذا أوفيت على الغاية من الاستقصاء والتحرى ، وتكاملت الجزازات ، أقبلت عليهن أرتبهن وأنظمهن حسب أوائل حروف المادة التى منها اللفظة الغريبة، ثم هأنذا أبوبها ثم أضع النماذج المتعددة لها، حتى ارتضيت، أخيرا، النموذج والمثال الذى يراه القارئ لهذا المعجم .

هذا وليعلم أن الإمام البخارىّ لم يروِ فى صحيحه كل الصحيفة ، وإنما روى مايتعلق بشرح معنى اللفظ الغريب فقط .

وليعلم أيضا أن مارواه من شرح اللفظ الغريب ليس كله مما جاء بالصحيفه، فقد روى كثيرا عن غير ابن عباس .

وقد عهد إلىّ الصديق الوفىّ **الدكتور محمد كامل حسين** أن أجرّد صحيفة على بن أبى طلحة، من تفسير الطبرىّ . فإن مدّ الله فى أيامى، وحققتُ رغبة صديق وصفيى، وأوفيت بعهده، كنت قد قمت بعمل جليل ، هو إحياء أثر نفيس قديم .

أسأل الله الذى لا إله إلا هو، الحىّ القيوم أن يوفقنى لما يرضيه ولما ينفع به عباده المسلمين ؟

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ الْمُسْلِمِينَ .
(٤١/٣٣)

محمد فؤاد عبد الباقى

صحيفة عليّ بن أبى طلحة

فى التفسـيـر

للأستاذ الدكتور محمد كامل حسين

أستاذ الأدب المساعد بكليـة الآداب بجامعة فؤاد الأول

لسنا فى حاجة إلى أن نكرر ما قاله القدماء عن بدء تفسير القرآن الكريم ، وأنه بدأ بالرواية ، شأنه فى ذلك شأن جميع العلوم التى نشأت فى العهد الإسلامىّ الأول ، وأن التفسير ظل يتنقل بالرواية حتى جاء الوقت الذى دونت فيه هذه الروايات. فمن أقدم الروايات التى وصلتنا عن ابن عباس فى تفسير القرآن الكريم ، تلك الصحيفة ، التى عرفت بين المفسرين المتأخرين بصحيفة علىّ بن أبى طلحة . وأقدم نص نعرفه عن هذه الصحيفة، هو ماورد فى كتاب «الناسخ والمنسوخ» لأبى جعفر النحاس أحمد بن محمد بن إسماعيل المصرى المتوفى سنة ٣٣٨ ه ، فهو يقول بعد أن أسند عن أحمد بن حنبل : بمصر صحيفة فى التفسير ، رواها علىّ بن أبى طلحة ، لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا ما كان كثيرا(١) .

وقال مرة أخرى ، بعد أن أسند أيضاً عن أحمد بن حنبل : بمصر كتاب التأويل عن معاوية ابن صالح ، لو أن رجلا رحل إلى مصر ، فكتبه ثم انصرف به ، ما كانت رحلته عندى تذهب باطلا(٢) . وسنرى فى هذا البحث أن « كتاب التأويل عن معاية بن صالح » هو نفس « صحيفة علىّ بن أبى طلحة » .

وفى تفسير القرطبى فى حديثه عن أوائل الذين ألفوا فى التفسير « وألف الناس فيه

---

(١) أبو جعفر النحاس : كتاب الناسخ والمنسوخ ص ١٢ (طبعة سنة ١٣٢٣) .

(٢) نفس المصدر ص ١٣

كعبد الرزاق والمفضل وعلىّ بن أبى طلحة والبخارىّ وغيرهم »[1] .

وذكر صاحب التهذيب فى حديثه عن علىّ بن أبى طلحة « ونقل البخارىّ من تفسيره (أى من تفسير علىّ بن أبى طلحة) رواية معاوية بن صالح عنــه عن ابن عباس شيئا كثيرا فى التراجم وغيرها ، ولـكنه لايسميه . يقول : قال ابن عباس . أو يذكر عن ابن عباس »[2] .

وروى ابن حجر العسقلانى فى « فتح البارى » ، بعد أن نقل ماجاء بكتاب الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس على النحو الذى ذكرناه سابقا « وهذه النسخة كانت عند أبى صالح كاتب الليث ، رواها عن معاوية بن صالح ، عن علىّ بن أبى طلحة ، عن ابن عباس . وهى عند البخارىّ ، عن أبى صالح . وقد اعتمد عليها فى صحيحه هذا كثيرا . وهى عند الطبرىّ وابن أبى حاتم وابن المنذر بوسائط بينهم وبين أبى صالح[3] »

ويذكر السيوطى فى الإتقان : وأولى ما يرجع إليه فى ذلك (أى فى تفسير غريب القرآن) ما ثبت عن ابن عباس وأصحابه الآخذين عنه ، فإنه ورد عنهما يستوعب غريب القرآن بالأسانيد الثابتة الصحيحة . وها أنا أسوق هنا ماورد من ذلك عن ابن عباس من طريق ابن أبى طلحة خاصة ، فإنها من أصح الطرق عنه ، وعليه اعتمد البخارىّ فى صحيحه »[4] .

فمن هذه النصوص التى أوردناها عن هؤلاء الأعلام ، نستطيع أن نقول ، إن صحيفة علىّ بن أبى طلحة فى تفسير القرآن الـكريم ، هى من أقدم الروايات التى دونت عن ابن عباس . وإن هذه الرواية من أصح الطرق عنه ، وإن البخارىّ وابن جرير الطبرىّ وغيرهما نقلوا هذه الصحيفة فى كتبهم ؛ ومع ذلك كله فيخيل إلىّ أن هذه الصحيفة لم تـكن معروفة إلا فى دائرة محدودة من بعض علماء التفسير ، فلم يرد لها ذكر فى كتب المتقدمين الذين تحدثوا عن الذين دونوا التفسير . فابن النديم

---

(١) تفسير القرطبى ج ١ ص ٣١ (طبع دار الـكتب المصرية) .
(٢) راجع فى ذلك أيضا تذهيب التهذيب ، وخلاصة التذهيب ــ مادة على بن أبى طلحة .
(٣) ابن حجر : فتح البارى ج ٨ ص ٣٣٢ (الطبعة الأولى سنة ١٣٠١) .
(٤) السيوطى : الاتقان ج ١ ص ١١٥ (طبعة المطبعة الأزهرية سنة ١٣١٨) .

مثلا، لم يذكرها فى الفهرست، مع أنه سرد أسماء عدد من الرواة الذين دونوا التفسير ؛ ولم يشر إلى هذه الصحيفة أحد ، إلا الذين نقلوا عنها، أمثال أبى جعفر النحاس وابن جرير الطبرى وغيرهما . أوالذين تحدثوا عن من نقل عنها ،كالذهبىّ وابن حجر العسقلانىّ والسيوطىّ وغيرهم. فإنهم لم يتحدثوا عن هذه الصحيفة إلابمناسبة حديثهم عن البخارى ؛ ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أن الذى نقل هذه الصحيفة عن علىّ بن أبى طلحة ، كان رجلا قضى أكثر سنى حياته بالأندلس ، وهو معاوية بن صالح . وأن الذى نقلها عن معاوية ، كان يعيش فى مصر، وهو عبد الله بن صالح، المعروف بكاتب الليث بن سعد . ونحن نعلم أن أهل المشرق لم يهتموا بعلماء المغرب اهتمامهم بعلمائهم [1] . وأن أهل المغرب ومصر كانوا يؤثرون دائما أن يأخذوا علومهم عن أهل المشرق ولم يقوموا بعلمائهم . ويكفى أن نذكر فى سبيل الاستدلال على ذلك ، ما كتبه الليث بن سعد إلى مالك بن أنس «وأنه بلغك أنى أفتى بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم ، وإنى يحق علىّ الخوف على نفسى لاعتماد من قبلى على ما أفتيتهم به ، وأن الناس تبع لأهل المدينة، التى إليها كانت الهجرة وبها نزل القرآن إلى أن يقول .. وما أجد أحدا ينسب إليه العلم أكره لشواذ الفتيا ، ولاأشدتفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ، ولا آخذاً لفتياهم فيما اتفقوا عليه،منى» [2] فإذا كان هذا رأى فقيه مصر الذى قال عنه الشافعىّ « الليث بن سعد أفقه من مالك إلا أن أصحابه لم يقوموا به » [3] فكيف يقول غيره ممن لم يبلغوا فى العلم درجة الليث ؟ فلو أن رجلا من أهل العراق المتقدمين نقل هذه الصحيفة لكان لها شأن لدى علماء المشرق والمغرب جميعاً . ولكن الذى حفظ هذه الرسالة هو كاتب الليث بن سعد، فأصابها ما أصاب فقه الليث بن سعد . ولو لم يرو البخارىّ بعض هذه الصحيفة ما كنا نعلم عنها شيئا . ولو لم يرو ابن جرير الطبرىّ أكثر نصوصها ما كنا نستطيع أن نتعرف على بعض خصائصها ومميزاتها . ولعلك تلاحظ

---

(١) راجع ما كتبناه عن ذلك فى كتاب « أدب مصر الإسلامية » .

(٢) ابن القيم : أعلام الموقعين ج ٣ ص ٨٢ (طبع سنة ١٣٢٥) .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج١ ص ٤٣٨

مع أن البخارىّ وابن جرير هما اللذان حفظا شيئا من هـذه الصحيفة وهما من أهل المشرق ، وأنهما أخذا هذهالصحيفة فى وفودهما على مصر ، فلو لم يقدّر لهما الحضور إلى مصر لما عرفا عنها شيئا ، ولضاعت الصحيفة تماما كما ضاع غيرها من كتب المصريين وغير المصريين من أهل المغرب. ومع ذلك فإن البخارىّ أخذ عنها بعض مفردات سردها فى صحيحه دون أن يشير إليها ، ونقل ابن جرير أكثرها وجعلها متفرقة فى كتاب تفسيره كأنها رواية من رواياته العديدة ، ولم ينقلها أحد، فيما نعلم ، وحدة مستقلة حتى تأخذ مكانتها بين كتب التفسير المتداولة .

أضف إلى ذلك كله ، أن ابن أبى طلحة الذي تعرف به الصحيفة ، كان يعيش فى حمص ، ولم تـكن حمص فى القرن الثانى من الهجرة من مراكز العـلم الهامة التى يرحل إليها العلماء . ولذلك ظل مغموراً ، ولم يَرْوِ عنه إلا أهل بلدته . فالذى نقل عنه صحيفته رجل من حمص ، وهو معاوية بن صالح ، ولهذا لم يعرف الصحيفةَ إلا عدد قليل من العلماء .

وهناك سبب آخر له قيمته فى ضياع هذه الصحيفة . ذلك أن بعض العلماء جرّحوا علىّ بن أبى طلحة ــ على نحو ما سنذكره ــ بينما وثّقه بعضهمالآخر . فتعمد كثيرون أن لا يأخذوا عنه، كما أن عدداً من العلماء لم يوثقوا عبد الله بن صالح كاتب الليث فلم يرووا عنه ، فضاعت الصحيفة بين هؤلاء العلماء .

أما ابن أبى طلحة الذى تعرف به هـذه الصحيفة فهو[1] علىّ بن أبى طلحة سالم بن المخارق الهاشمىّ ولاء ، ويكنى بأبىالحسن وقيل غير ذلك . قيل إن أصله من الجزيرة ثم انتقل إلى حمص وظل بها طول حياته . ولا ندرى سبب استقراره فى حمص إذ لم يصلنا عن نشأته وحياته شيء . وكل الذى وصلنا عنه إنما هو فى الحديث عن شيوخه الذين أخذ عنهم ، وعن هؤلاء الذين رووا عنه؛ ثم عن توثيقه أو تجريحه . ويكاد يجمع الذين تحدثوا عنه من المؤرخين والمحدثين أنه لم يَرْوِ

(١) مراجعنا فى الحديث عن على بن أبى طلحة هى : تاريخ الإسلام للذهبى، التهذيب ، تذهيب التهذيب خلاصة تذهيب تهذيب الـكمال للخزرجى ، ميزان الاعتدال .

عن ابن عباس مباشرة ، إنما أخذ رواية ابن عباس بواسطة بينهما . واختلف المؤرخون فى من كان بينه وبين ابن عباس، فأبو جعفر النحاس يذهب إلى أنه مجاهد أحيانا وعكرمة أحيانا أخرى. أى أن سلسلة الرواية هى علىّ بن أبى طلحة عن مجاهد عن ابن عباس أحيانا ، وعلىّ بن أبى طلحة عن عكرمة عن ابن عباس أحيانا أخرى[1]. وجعل السيوطىّ الواسطة هو مجاهد طوراً ، وسعيد ابن جبير طوراً آخر[2]. ولا نستطيع أن نتبين الحقيقة لأن الذين رووا عن ابن أبى طلحة أغفلوا ذكر من كان بينه وبين ابن عباس ، ومن هنا جاء الطعن فى إسناده . وقد دافع عنه أبو جعفر النحاس بقوله « والذى يطعن فى إسناده يقول : ابن أبى طلحة لم يسمع من ابن عباس ، وإنما أخذ التفسير عن مجاهد وعكرمة ، وهذا القول لا يوجب طعناً لأنه أخذه عن رجلين ثقتين ، وهو فى نفسه ثقة صدوق »[3] ، وعدّله فى رواية هذه الصحيفة أحمد بن حنبل على النحو الذى رأيناه فى النص الذى نقله عنه أبو جعفر النحاس . غير أن ابن حنبل كان يقول عنه « له أشياء منكرات » وذكره ابن حبّان فى الثقات ، وقال « روى عن ابن عباس ولم يَرَه » وروى له مسلم حديثا واحدا فى ذكر العزل[4] ، وروى له المحدثون حديثاً آخر فى الفرائض ، وقد ذكرنا أن البخارىّ نقل من صحيفته فى التفسير الذى رواه عن ابن عباس شيئا كثيرا فى التراجم وغيرها بالرغم من أنه لا يسميه ، ويقول فيه أبو داود « هو إن شاء الله مستقيم الحديث ، ولكن له رأى سوء ، كان يرى السيف » وذلك أن أبا زرعة الدمشقى روى عن علىّ بن عباس الحمصى قال : لقى العلاء بن عتبة الحمصى علىّ بن أبى طلحة تحت القبة ، فقال : يا أبا محمد تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين ، فيقتل

---

(١) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص ١٣

(٢) السيوطى : الإتقان ج ٢ ص ١٨٨

(٣) النحاس : الناسخ والمنسوخ ص ١٣

(٤) ١٦ — كتاب النكاح ، ٢١ — باب حكم العزل ، حديث ١٣٣ والحديث هو « حدثنى هرون بن سعيد الأيلى حدثنا عبد الله بن وهب أخبرنى معاوية (يعنى ابن صالح) عن على بن أبى طلحة عن أبى الوداك عن أبى سعيد الخدرى سمعه يقول : سئل صلى الله عليه وسلم عن العزل فقال : ما من كل الماء يكون الولد ، وإذا أراد الله خلق شىء لم يمنعه شىء .

الرجل والمرأة والصبيّ ، لا يقول أحد : الله. الله. والله لئن كانت بنو أمية أذنبت لقد أذنب بذنبها أهل المشرق والمغرب ، (يشير إلى ما فعله بنو العباس لما غلبوا على بني أمية . وأباحوا قتلهم) فقال له عليّ بن أبي طلحة : يا عاجز !! أو ذنب على أهل بيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أن أخذوا قوما بجرائرهم وعفوا عن آخرين ؟ فقال له العلاء : وإنه لرأيك ؟ قال : نعم. فقال له العلاء : «لا كلمتك من فمي بكلمة أبدا . إنما أحببنا آل محمد بحبه . فإذا خالفوا سيرته وعملوا بخلاف سنته فهم أبغض الناس إلينا » . فإن صحت هذه القصة ، فإنها تدل على مبلغ تشيع أهل الشام لبني أمية ، وتشيع عليّ بن أبي طلحة لمواليه الهاشميين ، فمن الطبيعيّ أن تختلف نزعة العلاء بن عتبة الحمصي عن نزعة عليّ بن أبي طلحة ، وأن تختلف آراؤهما ، فهذه القصة إذن لا تنقص من قدر ابن أبي طلحة .

هناك عدد من العلماء أنكروا الرواية عن ابن أبي طلحة بجانب هؤلاء الذين عدّلوه ، فمن الذين لم يوثقوه : يعقوب بن سفيان الذي قال عنه «ضعيف الحديث منكر ، ليس محمود المذهب» وقال في موضع آخر : شاميّ ليس هو بمتروك ولا هو حجة » ، ولعل هذا هو السبب الذي من أجله لم يرو البخاريّ شيئا من الأحاديث عن طريقه ، بل لم يذكره في إسناده حينما أخذ من صحيفته في التفسير ، على أن الذين وثقوه والذين جرحوه اتفقوا جميعا على صحة رواية الصحيفة التي عرفت به في التفسير .

ويذكر بعض المؤرخين أن سفيان الثوريّ والحسن بن صالح وثور بن يزيد سمعوا من عليّ ابن أبي طلحة ، ولكن أحمد بن حنبل يفرق بين رجلين كل منهما كان يعرف باسم عليّ بن أبي طلحة. أحدهما كوفيّ ، وهو الذي روى عنه الثوريّ والحسن بن صالح وغيرهما . والآخر شاميّ ، وهو صاحب الصحيفة في التفسير . ولكن صاحب التهذيب صوّب أنهما شخصية واحدة . فصاحب الصحيفة هو نفسه الذي روى عنه الثوريّ وغيره ، ولم تصل إلينا نصوص كافية لمعرفة حقيقة هذا الخلاف . كما نرى خلافا آخر بين أبي بكر بن عيسى صاحب تاريخ حمص ، وبين

خليفة بن خياط فى تاريخ وفاة علىّ بن أبى طلحة . فقد ذهب الأول إلى أن ابن أبى طلحة توفى سنة ١٤٣ هـ . وذهب الآخر إلى أنه مات سنة ١٣٠ هـ . ويقول صاحب التهذيب إن الأول أصح . ولكننا لا نستطيع أن نرجح أحد الرأيين .

وثانى رجال هذه الصحيفة هو معاوية بن حُدَير بن سعيد الحضرمى[1]، ويكنى بأبى عمر ، وقيل بأبى عبد الرحمن الحمصىّ ، لا نعرف شيئا أيضا عن نشأته ، إذلم تصلنا ترجمة حياته إلا أقاويل إنه خرج من حمص إلى المغرب ثم دخل الأندلس سنة ١٢٣هـ[2]، ولكن اتفق ابن سعيد المغربىّ وابن يونس المؤرخ المصرىّ على أنه دخل الأندلس سنة ١٢٥ هـ واستوطن مدينة مالقة ، وبنى هناك مسجدا نسب إليه ، وكان يعرف باسمه حتى القرن الثامن للهجرة[4] ثم انتقل إلى إشبيلية وسكنها إلى أن ولى عبد الرحمن بن معاوية الأموىّ أمر الأندلس سنة ١٣٩هـ فاتصل به . وقيل إن عبد الرحمن أرسله إلى الشام فى بعض أمره، فلما عاد جعل إليه القضاء بقرطبة[3]. فإذا صحت هذه القصة فمن المرجح أن عبد الرحمن أرسله سنة ١٥٤ هـ . ذلك أن ابن سعيد المغربىّ قال عنه «إنه حج مرة واحدة» وقال عبد الله بن صالح : «مربنا معاوية بن صالح حاجا سنة ١٥٤هـ فكتب عنه أهل مصر وأهل المدينة » فلو كان معاوية بن صالح خرج إلى الشرق فى سنة غير هذه السنة، لتحدث بها المصريون الذين أخذوا عنه . ومن يدرى ، لعل عبد الرحمن الداخل أرسله إلى الشام فى أمر يدعو إلى الستر والكتمان ، فخرج معاوية إلى هذا الأمر مع الحجيج حتى لا تتنبه إليه عيون العباسيين ، ويخيل إلىّ أن معاوية نجح فى سفارته مما جعل صاحب الأندلس يعهد إليه بالقضاء .

لا نستطيع أن نحدّد متى أخذ معاوية بن صالح الصحيفة عن علىّ بن أبى طلحة ، إلا أننا نرجح أن ذلك كان قبل خروج معاوية من حمص أى قبل سنة ١٢٣ هـ (أو سنة ١٢٥ هـ) . إذ أن

---

(١) مراجعنا فى الحديث عن معاوية بن صالح هى نفس المراجع التى رجعنا إليها فى الحديث عن على بن أبى طلحة.
(٢) أبو الحسن النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣ (نشر الأستاذ پروفنسال) .
(٣) نفس المصدر ص ٤٣ .   (٤) نفس المصدر .

المصادرالتى بين أيدينا لا تذكر شيئا عن عودة معاوية إلى حمص بعد أن خرج منها لأول مرة . كما لم تذكر المصادر أن علىّ بن أبى طلحة رحل إلى المغرب . فقبل أن يخرج معاوية من حمص روى عن علىّ بن أبى طلحة ويحيى بن سعيد الأنصارى ومكحول الشامى وابن راهويه وغيرهم . وعندما مر بمصر روى عنه عدد من أكبر علمائها . منهم الليث بن سعد فقيه مصر المتوفى سنة ١٧٥ﻫ ، وعبدالله بن وهب المتوفى سنة ١٩٧ ﻫ ، وهو من أوائل الذين دونوا الحديث فى كتابه «الجامع فى الحديث» وعبد الله بن أبى صالح وغيرهم . وقد ذكرنا أن معاوية زار مصر مرتين : الأولى سنة ١٢٥ﻫ فى طريقه إلى المغرب ، والثانية سنة ١٥٤ ﻫ فى طريقه إلى الحج. والذى ذكر تاريخ زيارته الأولى هو مؤرخ مصر ابن يونس . والذى ذكر زيارته الثانية هو عبد الله بن أبى صالح الذى نقل عنه الصحيفة فى التفسير . فهل نفهم من ذلك أن ابن أبى صالح أخذ الصحيفة عنه فى هذه الزيارة الثانية ؟ هذا ما نرجحه . ولا سيما وأننا نعلم أن ابن وهب ، أحد الذين رووا عنه ، ولد سنة ١٢٥ ﻫ . وأن ابن أبى صالح حدد سنة ١٥٤ ﻫ ولم يذكر شيئا عن زيارته الأولى .

وبالرغم مما عرف به معاوية بن صالح من علم حتى قال عنه النباهى «كان من جلة أهل العلم وكبار رواة الحديث ، ورحل إليه زيد بن الحباب من الكوفة فسمع منه بالأندلس حديثا كثيرا» [1] وقال ابن سعيد «كان ثقة كثير الحديث» وقال حميد بن زنجويه «قلت لعلىّ بن المدينىّ : إنك تطلب الغرائب ، فأت عبد الله بن صالح فاكتب عنه كتاب معاوية بن صالح تستفد منه مائتى حديث» وبالرغم أيضا من أن عددا من الأعلام المعروفين بالفقه والرواية الصحيحة رووا عنه ، فإن هناك بعض من جرحه . فابن معين كان يقول : إنه ثقة . ولكنه روى أيضا أن ابن مهدى كان إذا تحدث بحديث معاوية بن صالح زبره يحيى بن سعيد وقال: إيش هذه الأحاديث . وروى الدورى عن ابن معين : أنه ليس بمرضٍ . وربما كان السبب فى تجريحه هو ما عرف عنه من أنه كان ممن يستغنى بعقله وعلمه وفهمه عن مشاورة غيره [2] . ومهما يكن

---

(١) النباهى : تاريخ قضاة الأندلس ص ٤٣ .

(٢) نفس المصدر السابق ص ٤٣

من شئ فإن الذى خلد اسمه هو حفظه لصحيفة علىّ بن أبى طلحة فى التفسير . واختلف المؤرخون فى وفاته ، فذهب النباهى إلى أنه توفى سنة ١٦٨ ه ، وقال ابن يونس المصرىّ إنه توفى سنة ١٥٨ ه ويقول ابن مروان صاحب تاريخ الأندلس إنه توفى سنة ١٨٣ه. ولا نستطيع أن نرجح إحدى هذه الروايات لأن المصادر التى بين أيدينا لا تكفى لتحقيقها .

أما ثالث رجال هذه الصحيفة ، والذى يرجع إليه الفضل فى تعريفها لأهل المشرق ، حتى نقلها البخارىّ ، وأبو حاتم وابن جرير وغيرهم ، فهو عبدالله بن صالح المعروف فى تاريخ الحركة الفكرية فى مصر الإسلامية بأبى صالح كاتب الليث بن سعد[1] ، فقد كان الليث بن سعد رجلا له ضياع ومال ، وكان ينفق عن سعة على نفسه وعلى غيره من المحتاجين وغير المحتاجين ، وقصص بذخه وهداياه عديدة تدل على يسره أولا ، وشدة كرمه ثانيا . فلا غرو أن رأيناه يتخذ رجلا يثق به ليشرف على أمواله وضياعه ، فكان هذا الكاتب هو عبدالله بن صالح بن محمد بن مسلم الجهنىّ المصرىّ . عرف عبد الله بأنه صاحب علم ، وأنه صاحب حديث ، كما عرف بالتقوى والصلاح ، حتى قال الفضل بن محمد : ما رأيت أبا صالح إلا وهو يحدّث أو يسبّح . . روى عن الليث بن سعد ، وروى الليث عنه ، كما حدث عن معاوية بن صالح وموسى بن على وغيرهما ، وأخذ عنه أحمد بن الفرات ويحيى بن معين وغيرهما ، ووثقه عدد من العلماء وأثنوا عليه ، فيروى أبو حاتم : سمعت محمد بن عبد الله بن عبد الحكم[2] وسئل عن أبى صالح فقال : تسألنى عن أقرب رجل إلى الليث بن سعد ، لزمه سفرا وحضرا ، وكان يخلو معه كثيرا ، لا ينكر لمثله أن يكون قد سمع منه لكثرة ما أخرج عن الليث .. ويقول ابن معين . . أقل أحواله ان يكون قرأ هذه الكتب على الليث وأجازها له . وقال عبد الملك بن

---

(١) راجع التهذيب والتذهيب والخلاصة وميزان الاعتدال ، وفتح البارى وحسن المحاضرة للسيوطى .

(٢) محمد بن عبد الله بن عبد الحكم كان أخص تلاميذ الشافعى وكان والده زعيم المدرسة المالكية بمصر وتولى محمد رياسة المدرسة المالكية بعد أبيه ، وذاعت شهرته فى الأقطار الإسلامية حتى صارت إليه الرحلة لأخذ مذهب مالك . حتى قيل عنه : إنه أعلم من على أديم الأرض بمذهب مالك . وتوفى سنة ٢٦٨ه [راجع ما كتبناه عن بنى عبد الحكم فى كتاب « أدب مصر الإسلامية »] .

شعيب، حفيد الليث « ثقة مأمون سمع من جدّى حديثه » وقال أبو حاتم « هو صدوق أمين ما علمته » وقال أبو زرعة « لم يكن عندى ممن يتعمد الكذب وكان حسن الحديث. وكان يعقوب ابن سفيان يقول « حدثنى أبو صالح ، الرجل الصالح » وقال الذهلى « شغلنى حسن حديثه عن الاستكثار من سعيد بن عفير » [1] .

وبجانب هؤلاء الأعلام الذين وثقوا أبا صالح ، نرى عددا من العلماء لا يثقون به ، فالنسائى لم يثق به ، وقال على بن المدينى : ضربت على حديثه . وقال صالح جزره : كان ابن معين يوثقه وعندى أنه يكذب فى الحديث . وقال ابن عدى . كان مستقيم الحديث إلا أنه يقع فى أسانيده ومتونه غلط ولا يتعمد الكذب . وسئل أحمد بن حنبل عنه فقال : كان فى أول أمره متماسكا ثم فسد بأخرة . وروى عبد الله بن أحمد بن حنبل أيضا : ذكرت أباصالح لأبى فكرهه ، وقال إنه روى عن الليث عن ابن أبى ذئب ، وأنكر أن يكون الليث سمع من ابن أبى ذئب ..

وهكذا اختلف العلماء فى أبى صالح اختلافهم فى معاوية بن صالح وفى علىّ بن أبى طلحة ، ولكنهم اتفقوا جميعا على أن حديث أبى صالح كان مستقيما فى أول حياته ، وأنه لم يتعمد الكذب، وهناك رواية تقول إن ماوقع فى حديثه من مناكير كانت من قبل جار له . فكان هذا الجار يضع الحديث ويكتبه بخط يشبه خط أبى صالح ويرميه فى داره ، فيتوهم أبو صالح أنه خطه فيحدث به . ولهذا قال المحدثون إن مايجىء من روايته عن أهل الحذق كيحيى بن معين والبخارىّ وأبى زرعة وأبى حاتم فهو من صحيح حديثه ، ولذلك نرى البخارىّ يأخذ عنه صحيفة علىّ بن أبى طلحة ويورد أكثرها فى صحيحه . وبالرغم من أن أحمد بن حنبل كان يكره أبا صالح ، ولم يثق

---

(١) سعيد بن كثير بن عفير الأنصارى ولد بمصر سنة ١٤٦ ﻫ وأتم علومه الدينية بمصر ثم رحل إلى بغداد والمدينة وسمع من مالك وغيره وعاد إلى مصر يحدث ، وثقه البخارى والنسائى وابن عبد الحكم وغيرهم ، وكان عالما فى الأنساب والتاريخ وأيام العرب وكان فى ذلك كله عالما جليل الشأن حتى قيل إن مصر لم تخرج أجمع للعلوم منه ، ومدحه عبد الله بن طاهر والى مصر فقال « رأيت بمصر من عجائب الدنيا ثلاثة أشياء : النيل والهرمين وابن عفير » [راجع كتاب أدب مصر الإسلامية] .

به ، فإنه أشاد بذكر صحيفة علىّ بن أبى طلحة التى كانت عند أبى صالح . وتوفى أبو صالح سنة ٢٢٣ ﻫ .

هؤلاء هم الرجال الذين نقلوا صحيفة التفسير عن ابن عباس التى عرفت باسم صحيفة علىّ ابن أبى طلحة . وقد ذكرنا أن عبد الله بن صالح هو الذى حفظ هذه الصحيفة وعنه أخذها البخارىّ وأبو حاتم وغيرهما . ونحن نعلم أن البخارىّ ولد سنة ١٩٤ ﻫ ، وأنه قام بأول رحلة له إلى الحج مع أمه وأخيه سنة ٢١٠ ، وأنه دخل مصر مرتين[1] ، ولم تذكر المصادر التى بين أيدينا تاريخ وفوده على مصر ، ولكننا نستطيع أن نقول إنه فى إحدى هاتين المرتين قابل عبد الله ابن صالح وأخذ عنه الصحيفة فى التفسير ، وأن ذلك كان بين سنة ٢١٠ ﻫ ، وهى السنة التى خرج فيها لأول مرة إلى الحج ، وبين سنة ٢٢٣ ﻫ وهى السنة التى توفى فيها أبو صالح . ويرجع بعض الفضل إلى البخارىّ فى أنه أخذ هذه الصحيفة ، وروى أكثرها فى صحيحه وإن كان البخارىّ لا يذكر رجالها ، إنما كان يعلقهم عن ابن عباس ، شأنه فى ذلك شأن الأحاديث التى رواها عن أبى صالح ، فإن الأحاديث التى رواها البخارىّ عنه فى الصحيح بصيغة « حدثنا » أو « قال لى » أو « قال » المجردة قليلة ، بينما نرى التعليق عن الليث بن سعد من رواية عبد الله ابن صالح عنه كثيرا ، وقد أخذ ذلك على البخارىّ ، ولكن البخارىّ صنع ذلك لأن الذى أورده من أحاديث أبى صالح صحيح عنده لكنه لا يكون على شرطه ، فلهذا لا يسوقه مساق أصل الكتاب ، غير أن الذى نقله البخارىّ من صحيفة علىّ بن أبى طلحة لم يتجاوز مفردات غريب القرآن ، حتى وهم السيوطىّ فى اتقانه أن ما نقله البخارىّ هو كل ما فى صحيفة علىّ بن أبى طلحة. وقد فطن إلى ذلك صديقنا الباحث المدقق الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى عندما أراد أن يجمع مفردات غريب القرآن عن البخارىّ ، فقال: إن البخارىّ لم ينقل كل ماجاء فى صحيفة ابن أبى طلحة ، كما أن مفردات الغريب فى صحيح البخارىّ جمعت من هذه الصحيفة ومن غيرها . بينما نرى فى تفسير الطبرى عن هذه الصحيفة تفسير آيات تفسيرا كاملا على نحو ماسنذكر بعد.

---

(١) ابن حجر : مقدمة فتح البارى ص ٤٧٩ .

فبفضل هـذا الـكتاب . . (*معجم غريب القرآن*) نستطيع أن نخرج ما أخذه البخارى من صحيفة ابن أبى طلحة وذلك بمقارنة ماجاء فى هذا الـكتاب بما رواه ابن جرير الطبرى فى تفسيره. ذلك أن ابن جرير أخذ من كتب التفاسير المصنفة عن ابن عباس خمسة طرق : إحداها طريق علىّ بن أبى طلحة، أى الصحيفة التى نحن بصددها .

لم يأخذ ابن جرير الطبرىّ هذه الصحيفة عن عبد الله بن صالح مباشرة . ذلك أن ابن جرير سار إلى الفسطاط فى سنة ٢٥٣ ﻫ أى بعد وفاة أبى صالح بنحو ثلاثين عاما ، ثم رحل إلى الشام ، وعاد إلى مصر مرة أخرى سنة ٢٥٦ﻫ حيث نزل على الربيع بن سليمان (١) أحد أصحاب الشافعى . فهو إذن قد أخذ الصحيفة من هؤلاء الذين رووها عن أبى صالح . ومن سلسلة الرواية فى تفسيره نستطيع أن نقول إن ابن جرير الطبرىّ روى الصحيفة عن طريقين : المثنى بن إبراهيم عن عبد الله بن صالح ، وعلىّ بن داود عن عبد الله بن صالح ، ولا ندرى أين أخذ ابن جرير عنهما ، ولا متى أخذ .

ومهما يكن من شى فإن ابن جرير قد حفظ لنا الشطر الأكبر من صحيفة علىّ بن أبى طلحة ، إن لم يكن قد حفظها بأكملها . فهو لم يرو معانى مفردات الغريب كما فعل البخارىّ ، بل نرى فى روايته عن طريق ابن أبى طلحة تفسيرا تاما للآيات ، ولم يقف عند الألفاظ إلا بقدر . فهو يذكر ناسخ الآيات ومنسوخها ، مثل قوله : فـكان أول ما نسخ الله عز وجل من القرآن القبلة . وذلك أن رسول الله ﷺ لما هاجر إلى المدينة وكان أكثرها اليهود ، أمره الله تعالى أن يستقبل بيت المقدس . ففرحت اليهود . فاستقبلها رسول الله ﷺ بضعة عشر شهرا . فـكان رسول الله ﷺ يحب قبلة إبراهيم عليه السلام ، وكان يدعو وينظر إلى السماء فأنزل الله عز وجل : قد نرى تقلب وجهك فى السماء » الآية. فارتاب من ذلك اليهود : وقالوا ماولاهم عن قبلتهم التى كانوا عليها « فأنزل الله عز وجل « قل لله المشرق والمغرب »(٢).

---

(١) ياقوت : معجم الأدباء ج ٦ ص ٤٣٢ وما بعدها (طبعة مرجوليوث) .

(٢) تفسير الطبرى ج ٢ ص ٤ ، ج ٢ ص ١٣ ، وورد هـذا النص فى الناسخ والمنسوخ لأبى جعفر النحاس ص ١٢

ونرى هذه الرواية مرة أخرى فى تفسير قوله تعالى (قد نرى تقلب وجهك فى السماء ... الآية) . ومثل قوله فى تأويل قول الله تعالى : إن ترك خيرا الوصية للوالدين والأقربين . «فنسخ من الوصية الوالدين وأثبت الوصية للأقربين الذين لايرثون »[1] . ولم يكتف بهذا التفسير ، إنما نراه يفسر ذلك الخير الذى ورد فى الآية السالفة الذكر فيقول : قوله إن ترك خيرا يعنى مالا[2] .

وفى رواية ابن جرير عن صحيفة علىّ بن أبى طلحة مايدل على أنها تتحدث عن أسباب النزول ، فمثلا ، فى تأويل قول الله تعال : « أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم» يقول: وذلك أن المسلمين كانوا فى شهر رمضان إذا صلوا العشاء حرم عليهم النساء والطعام إلى مثلها من القابلة ، ثم إن ناسا من المسلمين أصابوا الطعام والنساء فى رمضان بعد العشاء ، منهم عمر بن الخطاب . فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ . فأنزل الله « علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن : يعنى انكحوهن : وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر[3] .

ومثل قوله فى تفسير قول الله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » فهذا ونحوه نزل بمكة ، والمسلمون يومئذ قليل ، وليس لهم سلطان يقهر المشركين ، وكان المشركون يتعاطونهم بالشتم والأذى . فأمر الله المسلمين ، من يجازَى منهم أن يجازِىَ بمثل ما أوتى إليه أو يصبر أو يعفو فهو أمثل ، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة وأعز الله سلطانه أمر المسلمين أن ينتهوا من مظالمهم إلى سلطانهم . وأن لا يعدو بعضهم على بعضَ كأهل الجاهلية »[4] .

---

(١) نفس المصدر ج ٢ ص ٦٩
(٢) نفس المصدر ج ٢ ص ٧٠
(٣) نفس المصدر ج ٢ ص ٩٦
(٤) نفس المصدر ج ٢ ص١١٦

فصحيفة علىّ بن أبى طلحة إذن، لم تكن فى تفسير مفردات غريب القرآن، كالذى نفهمه من كلام السيوطىّ فى الاتقان ، أو مانقله البخارىّ فى صحيحه ، فإن التفسير فى تلك الصحيفة كان أشمل وأعم مما وهم السيوطىّ أو مانقله البخارىّ . ونرجو أن يوفق صديقنا الكبير الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقى أن يخرج صحيفة علىّ بن أبى طلحة كما أخرج مفردات غريب القرآن .

٣٠ مايو سنة ١٩٥٠ — محمد كامل حسين